المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى سيدنا عيسى، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

﴿ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه-٢٨].

وسبحانَ الذى شرّف اللّغة العربيّة بنزول القرآن الكريم بها. وبعْدُ:

فهذه مجموعة من المقالات والبحوث كَتَبْتُ معظمها خلال هذين العامين المنْصرمين (١٤٢٢-١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢-٢٠٠٣م) وسميّتُها (مُرونةُ العربيّةِ - وعقلانِيَّتُها وأسبابُ خُلودُها). ونهجتُ فيها نهجا يختلف عن نهج الكتب «الأكاديمية» التى تقوم على منهج «تقليديّ» يقلّد فيه كُلُّ خَلَفٍ سَلَفَهُ، من غير أن يُضيفَ شيئا جديدا. إنْ دَأْبَ هذه الكتب «المدرسيّة» أنْ تَجْمعَ وتُصنِّفَ حشدا ضخما من المعلومات يستهلِكُ جُهْدَ الباحث، من غير أن يضيف شيئا، وفى واجهة هذا الكتاب رسائل الدكتوراة التى يحذُو فيها كُلُّ باحث حَذْوَ من سبقه، بل يهتمُّ المشرفُ- عادةً- على رسالته بتفصيلات «المنهج» وليس «بالفِكْرِ»، ولذلك يَعِنُّ لك أنْ تقرأ رسالة (حتى بعد أنْ تُطبعَ فى كتاب) فإذا هى خِلْوٌ من الفكر تقوم على حشد هائلٍ من المعلومات إلى حَدِّ «التُّخَمَة»! (ويجوز.. التخْمة).

ولو أخذنا كتابا من أشهر كُتب فقه اللّغة الحديثة.. وهو كتاب الدكتور صبحى الصالح العالم الشهير- رحمه الله- «دراسات فى فقه اللّغة».. لوجدناهُ يحاول أنْ يُصنِّف وأنْ يستوعبَ آراء القُدامى من دون أنْ يُضيف شيئا يُذكر. مثلا: فى الباب الأول - يتحدث عن: فقه اللّغة - نشأتُهُ وتطوُّرُهُ. وفى الباب الثانى - يتحدث عن: العربيّة بين أخواتها السّاميّات. وفى الباب الثالث - يتحدث عن: خصائص العربيّة الفُصحى. مثل: مقاييس الفُصحى، وظاهرة الإعراب، ومُناسبة حروف العربيّة لمعانيها، والمُناسبة الوضعيّة، وأنواع الاشتقاق، والنّحت أو الاشتقاق الكُبّارة[1]،

---

(١) أنا أراهُ الاشتقاق الأصغرَ. لأنه لا يُستعملُ إلاّ قليلا، نظرا لما فيه من صعوبة، لأنه نحتٌ لكلمة واحدة=

والأصــوات العربيّة وثبات أصولها، واتِّســاع العربيّة فى التعبيــر، وتعريب الدّخيل. وفى كُلِّ ذلك يتكئ على من سَبق.

ولو تَصَفَّحْتَ عَشَـرَةَ كتب فى فِقْهِ اللّغة لوجدتها تعرض إلى هذه الموضوعات، دونَ أنْ يكـون لأحدٍ منها رأيٌ مُبتكر.. إنَّ بعضها ينقـل الأفكار والمعانيَ عن بعض، مع اختلاف الصِّياغة، فكلٌّ يعبِّر بلغته عن هذه المعاني والأفكار. أمَّا المنْهج العام فواحد عندهم كُلّهِمْ. إلا قِلّةً، منهم: إبراهيم مصطفى – وإبراهيم أنيس، على الرغم من أن آراءهما فيها تطرُّف.

ولكــنَّ الذى يكتب مقالاتٍ وبحوثــا تكونُ «رَدَّ فِعْلٍ» واقعيًّا فى التَّعامل مع اللّغة أو مع كتاباتِ الآخرين (كما فعلتُ أنا فى هذا الكتاب) لا يكتفى، غالبا، بنقل أفكار السَّابقين بل يُضيف أفكارا وحلولا جديدة، معتمدا – إلى جانب المعاجم – على مبادئ فقه اللّغة وقواعد الصَّرف، بحيثُ «يُخَــرِّجُ» تخريجاتٍ مُبْتكرةً. مثلا فى هذا الكتاب.. فى مقالة (الفُصحى والحضــارة وجريدة الرأى) رَدَدْتُ على من ادّعى صعوبــة الفُصحى، وعلى من ادّعى أنها ستنتهى إلى ما انتهت إليه الجِرمانيّة، فقد أمستْ الجِرمانيّة خالية من الإعراب.

– وفــى مقالتــى التى رَدَدْتُ فيها على المرحوم السّــكاكينى الذى قَدَّم تَصَوُّرا ســاذجا لمراحل تطوّر اللّغة العربيّة.. بيّنت أن العربيّة لم تأتِ على مراحل؛ مرحلة للأفعال وأخرى للأسمــاء. وفى هاتــين المرحلتين لم تكُنْ (مُعْرَبة)، ولكن أُعْرِبَـْت فى مرحلة ثالثة. ذلك.. لأن اللّغــة كائــن عضوى ينبثق عن كائن عضويٍّ حيّ، هو الإنســان. ولهــذا فهى تتوّلَّدُ، ككلّ كائن حيّ، ذاتَ نسـيج مُتكامل.. اللّفظ والمعنــى، والتركيبُ والحركاتُ كلها تنبثق جملةً واحدة.

– وهكذا.. فى ســائر المقالات والبُحوث.. لم أكتب شـيئا إلاّ إذا رأيت أنى أُضيف به جديدا إلى التَّفقُّهِ بالعربيّة الفُصحى.

– وهذا.. شأن يختلف عن شأن البحوث «المدرسية» التى يكتبها المُصنِّفون بعقل «بارد». وهذا البرود هو أحدُ الأســباب التى تجعل البحثَ خاليا من الإبداع أو من الرّأى الجديد، أو النظرات الشخصيَّة الجادَّة – التى تحاول أن تقدم جديدا.

= مــن كلمتين أو أكثر مما يُخفى أصول الكلمات. وذلك يؤدى إلى غموض المعنى الجديد. والاشــتقاق الكُبَار فى رأيى يجب أن يكون هوالاشــتقاق الرئيســيَّ الذى ينصرف إليه الذِّهن عند ذِكر كلمة (الاشتقاق). ومثالُهُ: كَتَبَ كاتب مكتوب كتابة مكتبة مكتب كتيبة.. الخ. لأنه هو الاشتقاق الرئيسيُّ فى توالد الألفاظ الجديدة من الألفاظ القديمة. أما النَّحْتُ فهو الاشتقاقُ الأصغر، لأنه الأقلّ استعمالا.

– إنَّ الـذى يمارس النَّقد اللّغويَّ كالذى يمارس النَّقد الأدبـيّ.. يَصْعُبُ أنْ يُبدعَ دون أنْ يقرأ مَناهِجَ النّقد – اللغويِّ أو الأدبيّ، أو كثيرا منها، ثم.. يستعلى عليها جميعا، فيأخذُ ما يُناسب موضوعَهُ ويتركُ ما لا يُناسبُهُ، من دون أن «يُحشرَ» نفسه داخل قالبِ مدرسة بعينها. أذكرُ قبلَ بضع سـنوات، أنَّ أحدَ الشـعراء أهدانى ديوانَهُ، وقـد أقبلتُ عليه وأنا أنوى أنْ استخلصَ القِيمَ الأدبيّة التى تجلّتْ فيه، واستشهدَ منه على كلّ قيمة ببضعة أبيات(١)، بَيدَ أنّنـى عندما بدأتُ القـراءةَ وجدتُنى لا أحتاج إلى أنْ أتجاوزَ القصيدةَ الأولى منه، لكى أكتُبَ مقالةً. فقد كانت هذه القصيدة غاصّةً بالمُلاحظات «السَّلبيَّةِ» فَوَجَدْتُ فى ذلك فرصةً لأعَرِّفَ الشـاعر كيف يتعاهد شعرَهُ حتى لا يخرجَ من القصيدة إلاّ وقد اطمأنّ أنه كتب شعرا مقبولا. وهـل فى ذلك من عجـب؟ أمَا كان زُهيرٌ يُحكّكُ قصيدتهُ حَوْلا كامـلا، قبل أنْ يُذيعها فى الناس؟ ولذلك سُميّتْ قصائدُهُ (الحَولِيّاتُ). وتصادَفَ أنَّ أحد الأساتذة كان قَدَّمَ لهذا الديوان وَمَدَحَهُ فغاظتْهُ ملاحظاتى. فكتَبَ مقالةً يرُدُّ عليَّ فيها، يرى فيها أنَّ النّقدَ لا يسـتقيمُ على الطريقة التى – أنا – سـلكتُ، وإنما يجب أنْ نبدأَ بالعُموم ثم ننتهى إلى الخُصوص حسبَ نظريّـة «الجِشْـتالْتْ»! بيْدَ أنـى رددتُ عليه.. وأَبَنْتُ له أنّ هذا المَنهـج الذى يَراه، يمكنُ أنْ يُطبّقه هو على تلاميذه الذين سَتتشَـتّتُ أفكارُهُـمْ ويَضِلّون إذا لم يَتْبَعوا «منهجا» مُحدَّدا صارما.. أمّا من مضى عليه، وهو يمارس النّقد ثلاثين عاما وأزْيَدَ، فلا يجوز لكَ أن تحشُـره فى قالَبِ نظريّةٍ.. ما، بل هو يتصرّف تَبَعا «لمفتاح» النّصِّ الذى يُعالجُهُ.. فقدْ يبدأ من الكلّ إلى الجزْء، وقد يبدأ من الجزء إلى الكُلّ. بل قد يقف عند الكُلِّ فلا يتجاوزُهُ أو عند الجزء فلا يتجاوزُهُ. لأن الاختيارات أمامَهُ كثيرةٌ ومفتوحةٌ لا يُرَجِّحُ أحدَها على غيره إلاّ طبيعةُ النَّص، وليس أيَّ نظريّة نقديّة سـابقة. وِمثْلُ الأدبِ اللّغة.. فطبيعةُ الموضوع المُعالَج هى التى تُوَجِّهُهُ إلى الطريقة التى يُعالجُ بها، وإلى المراحل التى يُدخلُ إليه منها.

– أمّا نظريّة (الجِشْتالْتْ) – فهِي تصلح إلى حد كبير أن تُطبق على الأشياء التى لها نموذج واحد، أو قَوام واحد. كالإنسان، وكَكُلِّ نوع من الحيوانات. فالإنسان له هيكل عامّ واحد. وكل نوع من الحيوان – كالأسـد، والجمل.. – له هيكل عامّ واحد. ولذا.. فنحن يسـهل علينا أن نميّز من بعد كيلُوَيْنِ متريين – مثلا – أن المقبل، أو الواقف هو «إنسان» أو – أسدٌ، أو فيلٌ». ثم نتعرفه – أكثر – كلما اقترب، حتى نعرف أنه رجل أو امرأة. فإذا دنا أكثر، وأصبح على بُعدِ أمتار عرف أنه سعيد، أو سليم. إذا كنت تعرف سعيدا هذا، وسليما هذا.

(١) إلى الآن.. ألّفت سبعة كتب فى النقد الأدبى وأربعة فى فقه اللغة أحدُها هذا الكتاب.

بيدَ أنّ الكلمات ليس لها هيكل عامّ واحد، فكلّ كلمة.. ولها هيكلها الخاصّ بها. ولهذا.. فشلت نظرية (الجِشْتالْتْ) فشلا ذريعا، عندما طُبِّقت فى (تعليم اللّغات).

– ومثل اللُّغات.. الأدبُ؛ فحتى القصيدة – العمودية – مع أن أبياتها تتشابهُ فى الشكل العامِّ.. غير أن كل بيت له كيانهُ الخاصّ؛ فكلمات كلِّ بيت تختلف عن كلمات البيت الآخر، ومعناه مُفارق لمعنى البيت الآخر، وحتما موسيقاه «الداخلية» هى ذات نَغَم خاصّ. فكيف بقصيدة التفعيلة التى – لكل بيت فيها – شكل خاصّ، وطول خاصّ؟ بل – ذلك ينطبق على المقالة، والقصّة، والرِّواية؛ فليس من مقالة تناظر مقالة، وليس من قصة تشابُه أخرى. وليس من رواية تشابه رواية.. بل – إذا كان الاختلاف فى الهيكل قائما بين الكلمات.. فهو أشدّ وأعقد فى الأعمال الأدبية، لأن الأعمال الأدبية أكثر تعقيدا عشرات المرّات من الكلمات. ومن هنا.. فالتفكير بنقد الأدب بمنهج نظرية (الجِشْتالْتْ) عَمىً فكريٌّ، وقتلٌ للأدب والنقد – معا.

– وقد قسّمت هذا الكتاب أربعة أقسام – يسبقها «تمهيد»، ويتبعها «خاتمة» قصيرة. وهذه الأقسام هى:

١ – كيفَ يتعلّمُ الإنسانُ اللّغة؟

٢ – اللّغة العربيّة الفُصحى.. لغةُ إلهاميّةٌ.

٣ – التعرُّفُ(١) على عبقريّةِ اللّغة العربيّة الفُصحى – من خلال الاشتقاقِ، وتوليدِ المعانى.

---

(١) تَعَرَّفَهُ، تعرَّفَ عليه، تعرَّف إليهِ – بعضُ اللُّغويين يقولون: «تعرَّف الشيءَ، ولا يجوز غير هذا النسق مع «تعرّف» كتعرّف عليه أو تعرّف له أو إليه». قُلْتُ: الوجوهُ الثلاثة صحيحة. ولكنَّ لكلٍّ معنىً خاصا.

– فما هى هذه المعانى؟

– إذا قلتَ: تعرّفتُ الشيءَ، فمعنى ذلك أنك عَرفْتَهُ بصفاتهِ، سواءٌ سبقَ لكَ أن رأيتهُ، وجرى على صِفاتهِ لاحقا تغيير، أم لم يسبقْ لك أن رأيتهُ. قال الشاعرُ: («وقالوا: تعرّفها المنازل من منِى– وما كلٍ من وافى منىً أنا عارف»). أى: اعرفها من صفاتها، أو وبعد غيابك عنها وقتا، حتى طرأ تغيُّرٌ على صفاتها. ومثلُ الأشياءِ.. الأشخاصُ.

ولكن، متى نقول: تعرَّفَ عليه؟

– عندما يلقى زيدٌ سعيدا، فيطلب زيدٌ من سعيد أن يُعَرِّفَهُ بنفسه، فيقومُ سعيدٌ بذلك.. فقد تَعَرَّفَ زيدٌ عليه.

– ومتى نقول: تَعَرَّفَ إليه؟

– عندما نعكس الوضع السابق: يَلقى زيدٌ سعيدا، فيقول زيدٌ: أنا أُعرِّفُكَ بنفسى، أنا زيد، أعمل كذا وكذا، وإذا قابلت وأنا من بنى فلان. بهذا يكون زيد قد عَرَّفَ نفسه لسعيد، أيْ: تَعَرَّفَ إليه. ويجوز أن يقول: استعرف إليه. نقول: أنت فلانا فاستعرفْ إليه حتى يعرفك، أو فتعرَّفْ إليه حتى يعرفكَ. فاستعرف وتعرّف تؤديان نفس المعنى تقريبا.

على هذا إذن.. تَعَرَّفَهُ، وتَعَرَّفَ عليه، وتَعَرَّفَ إليه.. كلها صحيحة. ولكن لكل مِنهُنَّ معنا خاصا، يستدعيه وضعٌ خاصٌّ.

٤ - اللّغةُ العربيّةُ والتعريبُ - والنظرُ المعاصرُ فيها.

- بدأنا بالطريقة التى يتعلّم بها الإنسان اللّغة، وبكيفيّة تخزينها فى الدّماغ، وأن الإنسان يستطيع بالنّماذج اللّغوية القليلة التى يُحَصّلُها.. أن يُولّد - على غِرارها - ما لا يُحصى من الجُمل. لأن «التفقُّه» فى ذلك.. مُقدَّم على كل معرفة أخرى عن اللّغة.

- ثم.. ثنّيْنا بمعرفة طبيعة اللّغة الفُصحى، لأنه لابُدَّ من معرفة أن الفُصحى، وإن كانت حقيقة تشكُّلها فى الدّماغ.. لا تختلف عن اللُّغات الأخرى، غير أن ذلك لا يُقلل من التأكيد بأنها «إلهامية»[١]، لأن المُعجزات كلها.. لا تتمُّ خارج إطار «قوانين» فِعْلِ الأشياء الطبيعية[٢].. كلُّ ما فى الأمر أن الفِعْلَ المُعجز - مكثَّف - عشرات المرات (وربما مِئاتها) مُقارنةً بقوة الفِعل العاديّ، أو كثافته. ولهذا.. فالفُصحى تجرى على القوانين نفسها التى تتكوّن بها اللُّغات، ولكنّها ذات فِعْل أكثفَ. وهذا سبب خلودِها، وتحوُّل غيرها من لُغات الدُّنيا إلى صورة لغة أخرى، كلَّ بِضعة قرون.

- والتقريرُ بأنَّ الفُصحى إلهامية.. يقتضى التعرف على عبقريّة اللّغة العربيّة، التى تُعطينا اليقين أنها لغة تفوق غيرها من اللُّغات حقا،فهى إلهاميّة ولذا.. تناولنا جانبا من عبقريّتها، وهو قدرتها الفائقة على الاشتقاق، وتوليد المعانى.

- ثم.. أنهينا هذه الأقسام الأربعة.. بما يُشير إلى أن من حياتِها، وقدرتها على النموّ والتجديد.. أنها قادرة على التعريب من اللُّغات الأخرى، بسهولة ويُسر وإحكام عبارةٍ، ومعنى.

- فتكاملت بذلك كُله.. صورة للفُصحى.. تُقنع أنها لغة خالدة.. ألْهمها الله تعالى العربَ، لكى تكون مُؤهَّلةً لحمل الكتاب الخالدِ - القرآنِ المجيد.

- ولقد كان عنوان التمهيد (فَرَضِيّةُ الشُّعوب السّاميّةِ، واللُّغات السّامية - فرضيّةٌ خُرافيةٌ، لا أصلَ لها) - قَصَدْت مِنه أن أبدأ المُتلقّى بصدمة توقظه على أنّ كثيرا من الباحثين من العرب والمسلمين إنما يتلقّونَ ما يقولُهُ المستشرِقون - بغفلةٍ - ودون تَدَبُّرٍ،

(١) كتبتُ ثلاثة بحوث فى مجلة (هدْى الإسلام) - الأردنية (الأعداد - ٥ - ٦ - ٧) لسنة - ٢٠٠٥م- بيّنت فيها - بالدليل - أن اللغة العربية - إلْهامية. وقد أوردتُ هذه البحوث الثلاثة، فى القسم - الثانى - من هذا الكتاب.

(٢) فصلت هذا فى كتاب لى مخطوط، مكون من خمسة مجلدات، عنوانه: [العصمتان]- فنّدت فيه كثيرا من الأخبار المكذوبة - على - الرسول المعصوم - وهو يدعو، فى مكّة المكرّمة.

openkandil.com

أو تَفهُّـم أو تفكُّرٍ. فهذه الفَرَضيةُ الخُرافية ردَّدها كلّ الكُتَّاب الذين عرضوا إلى أى موضوع لـه علاقـة بأصل اللّغـة، أو أصل العـرب..! – مع أنها – كما ترى فى البحث نفسه – ليس لها ولا دليل واحد يسـنُدها. إنها فرضية أطلقها هاوٍ (ولا أقول: عالم) نمساوى اسـمه «أوغسـت لوديك شلوتْسر» عام ١٧٨١م – واسـتند فى – افتراضها – على التوراة المُحرَّفـة، لأنهـا تذكر أن نوحا – عليه السـلام – خلّف ثلاثة أبناء هم: سـامٌ، وحامٌ، ويافثُ. فالعربُ – سكّانُ الجزيرة العربيّة، والهلال الخصيب، واليهودُ – بزعمِهِ – هم من أبناء «سام» هذا. بَيْدَ أنَّ هذا الزَّعم لم يُؤَيَّدْ، ولا فى أيِّ مكانٍ آخر، غير التوراة المحرّفة.

– وقد توالى المُستشـرِقون علـى تكرار هذا الزَّعم، حتى لا يجرحوا مشـاعر اليهود، بل– حتى يَدْعموا مقولة «السّاميّة» التى تخدُمُ اليهودَ – وَحْدَهُم – ثم.. تبعهم – للأسف الشـديد – الكُتّابُ من هؤلاء العرب والمسـلمين – الذين «يُفكِّرون» ليفهموا، ويُخزِّنوا فى الذّاكـرة – ولكـنْ لا «يتفكَّرون» ليضيفوا إلـى الفِهمِ والتَّخزين.. البدءَ بالشّـكِّ – والتعمّق – وتميّزْ السمين من الغثّ..

– وهذا التمهيدُ.. ليس «مُلتحما» بمادة الكتاب التحام السبب بالنَّتيجة، وإنما هو قائم على علاقة – القاعدة – بما يُبنى عليها. وهى لها هدفان رئيسيّان – الأولُ.. أن يتحسَّس كُلُّ باحث رأسَـهُ عندما يقرأ خبرا، أو يقرأ فِكرا فيسألَ – بحساسية عالية – أهذا الخبرُ له مجال فى الصِّدق أم ليس له ؟ وإذا كان يقرأ فِكرا (أو يسمعه) أهذا الفِكر (أو الرأيُ) له مجال فى الصِّحة أم ليس له؟

– لذلـك.. لأن ثلاثين بالمئة تقريبـا، من أخبار التَّاريخ، والرِّوايات التى تُسـاق عن الأحـداث الصَّغيرة والطَّرائـف «كاذبة» (والكذب فى التفاصيل أكثر من الكذب عن الصورة العامّة للخبر) – وإنها لكذلك، بسبب تَلبُّس الهوى والرَّغبة بها، وبروايتها.

– والهدف الثانى.. أن يصل المتلقى إلى «رُؤيَةٍ» مُفادُها: أنّ العرب هم عربٌ أقحاح من الجزيرة العربيّة، منذ عُصور ما قبل التّاريخ. وليس لهم أيُّ علاقة بخُرافة «السّاميّة».

– وأن اللّغة العربيّة الشـريفة، لغة القرآن الكريم.. ليس لها علاقة بخرافةٍ السـامية، وإنما هى لغة «ألهمها» الله تعالى العرب، فى شمال الجزيرة العربيّة ٠ إلهاما، ولم ينتجْها البشـرُ/ العربُ بالتَّواضع. ألْهمهم.. أصولها التى لا تتغيّر – والتى يُبنى منها كلُّ ما يأتى من فروع تتنامى مع الأيام.

– مِصــداق ذلــك، وأدلّتُهُ فى البحوث الثلاثة – التى قام عليها القســم الثانى – التى أوضحتُ فيها (لأســباب كثيرة) أنَّ هذه اللّغــة الفُصحى هى إلهام، لا مواضعة واصطلاح. وقد نشرت هذه البحوث فى مجلة (هدْى الإسلام) – كما أشرنا فى الهامش آنفا.

– فى القســم الأول.. (بعد بحث السَّــكاكيني الذى أشرنا إليه، آنفا) كان التعليق على نظريّة – نحّوم تشومسكى – والتقريرُ بأن زُبدتها وردت عند الإمام عبد القاهر الجرجانى، من عُلماء القرن الخامس (ت – ٤٧١)، وعند المُفكِّر المعروف ابن خلدون، من عُلماء القرن الثامن (ت – ٨٠٨)[1].

– ثم.. عَرَّجت على الكتاب الذى عَرض نظريّة تشومســكى، فى اللّغة، ولم يُنبِّهْ مُؤلّفُهُ إلى سَــبْقِ هذين العالمين المُســلمين – هذا المؤلّفَ الغربيَّ «وصاحبُ الكتاب الذى عرض النظريّة هوَ – المرحوم الدكتور خليل أحمد عمايرة – وعنوانُ كتابه (فى نحْو اللّغة العربيّة – وتراكيبهــا) وقــد وجدنا فيه بعض ما لم نَــرْضَ عنه فى باب اللّغــة الفُصحى (واللُّغات عامةً)، وباب الفِكر اللّغوىّ، وستجدُ ملاحظاتنا على هذا الكتاب، فى المقالة الثانية، على أن مُؤلِّف الكتاب.. اجتهد، وقدّم نظرات كثيرة صائبة.

– وفــى الموضوعات الثلاثة الأولى من القســم الثانى جَلّيْتُ فيه مَقُولةً قديمة، وهى أن الفُصحــى «إلهامية» بَيْــدَ أن القدامي – رحمهم الله – لم يُدَلّلوا على ذلك. ســوى بالآية التى تقــول: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقــرة: ٣١] فأعاننــى الله تعالى على القِيــام بهذه المهمة، تحليلا وتدليلا.

– وفى القسم الثالث.. تناولت سبع كلمات، جعلت تحليلى اللّغويّ الفقهى لها.. دليلا على عبقريّة اللّغة العربيّة الفُصحى، فى باب الاشــتقاق – وتوليد المعانى. وهذه الكلمات هى الآتية: فرَجَ – سرَرَ – لَقِحَ – شَمَّتَ – طاحَ – عَنَدَ – مَقَلَ.

– وفى القســم الرابع.. نظرنا فى كتاب (اللّغة العربيّة والتعريب) فى مقالتين: الأُولى – قدّمنا فيها بعض الأفكار التى لا تتّفق مع أفكار الكِتاب المُشار إليه، والثّانية – عرضنا فيها لبعض ما رأيناه لا يتفق مع فصاحة العربيّة، مع إكبارنا لصاحب الكتاب. وفى مقالة ثالثة.. تناولنا مُغالطات – وَرَدْنا عليها.

(١) أفردت كتابا فى اللغة بين ابن خلدون والجرجانى– وبين ناعوم تشومسكى– يطبع فى– دار المعارف/ القاهرة.

بالدليل – «قدّمها» كاتب لم يُعرَفْ عنه التّفَقُّه فى اللّغة – وكان قد أرسل القول فيها إرسالا، مُعترضا فيها على ما كنت أكتبه لسنة ونصف من مقالات فى (فقه اللّغة) تحت عنوان (اللّغة والحياة) فى جريدة (الدستور) وكنت أتوخّى أن استبصر فى الاستعمال اللغوى، وأن أقدِّم فى كل كلمة أعالجها شيئا جديدا لم يَرِدْ فى الكتب، والحقّ – عندى – أن الذى يُلقِى – أحكاما – بلا دليل إنما هو جاهلٌ عامّيُّ العقل، أو مُغرِضٌ يريد أن يُشَوِّش على الآخرين، ليس أكثر، حسدا من عند نفسه، وقصورا عن بلوغ مرتبة المُبدعين.

– ثم.. فى مقالة رابعة.. صَحَّحْتُ (أو عدّلْتُ) ما ورد من أفكار غير دقيقة، يغلب عليها الأحكام العامّة التى تجانب الاستقراء الذى، إذا أُخذَ به، يضع الأشياء فى نصابها، ويُعدِّل الأحكام العامّة التى لا تلتفت ذات اليمين، وذات الشمال لترى أن هناك أشياء أخرى.. يجدر أن يُنظَرَ إليها، وأن يكون لها اعتبارها فى النظر، إلى جانب ما هو بؤرة التحديق – أصلا.

– ويجدر بنا أن نُولى الملاحظات الثلاثَ الآتيةَ العناية الكافية:

١ – كلمة (ابن) تكتب، وفى أولها ألف أينما وقعت. وقد علّلنا لذلك فى هامش البحث.

٢ – عَمْرٌ: كتب دون (واو) أينما وقعت، ويُفَرَّقُ بينها وبين عُمَرَ بفتحة على العين، وضمة على عين عُمَرَ. وقد علّلنا لذلك خلال البحث.

٣ – (ماءا وسماءا واستفتاءا) وما شابهها تُكتب، بعد الهمزة، ألفا عليها تنوين فتح فى حالة نصبها (من غير (أل) التعريف ولا إضافة). فهى لا تختلف عن (باعا، كتابا، إحسانا) إلخ.. لأن الهمزة ليست ألفا وإنما هى حرف صامت كالعين فى – باعا – والباء فى – كتابا – والنون فى – إحسانا.

وهذه الحالاتُ الثلاث جزء من دعوة للإصلاح الإملائى وتبسيطه – الإصلاح الذى يجب أن ينسحب على كلّ وَضْع شاذٍّ ليس لشذوذه عِلّةٌ مُعْتَبَرَةٌ.

وختاما: لقد حاولتُ جُهدى ألاّ أَتّكِئَ على الآراء الجاهزة والأقوال المُعادة، وإنما أُضيف جديدا إلى ما سَبَقَ من آراءٍ وأقوالٍ.

ومن البديهيّ أنْ أكون قد عثرتُ أحيانا، ولكنَّ تصويب هذه العثرات إنما هى مسؤوليةُ المْبدِعينَ من النُّقاد اللُّغويِّين الآخرين، وليس المقلدين. فكما خَطّأتُ الآخرين قليلا..

فأنـــا أتقبلُ بصدرٍ رَحْبٍ تخطئة الآخرين لى – على أنْ تكون التخطئة، ليســت تقوم على (الجُزاف) وإنما تقوم على التحليل والتعليل، والإنصاف.

– واللهُ المُستعان، وهو مالك الأمر والشأن.

فرغتُ من إعداده فى ١١/ شوال: ١٤٢٤هـ ١١/ ٧/ ٢٠٠٣م

– وكانت طبعته الأولى فى:

١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

عنوان المؤلف

عمّان / مرج الحمام / مكتبةَ (أمّ القُرى)

هـ – ٥٧١١٠٤٨

هـ – ٠٧٩/٦٤٨٠١٥٥

الإيميل:

Dr.Awdat – Allah@.Yahoo.com.

obeikandl.com